

الاتساق النصي المظاهر والأشكال

زميط محمد

البريد الإلكتروني: souraka.zm@hotmail.com

باحث في قسم الدكتوراه (سنة ثالثة دكتوراه - مدرسة الدكتوراه -)

علوم اللسان وتحليل الخطاب .

اسم ولقب ورتبة المشرف موسى جمال أستاذ محاضر بجامعة الجزائر 2

الهاتف 0771102315/0551520364

تاريخ القبول: 2019/04/28

تاريخ الاستلام: 2018/07/01

الملخص

يأتي بحثنا هذا مواكبا للتطور الذي شهده الدرس اللغوي المعاصر ، والذي نعني به علم اللغة النصي أو ما يسمى بـ "لسانيات النص (Linguistique Textuelle) ، موسوم بـ "الاتساق النصي المظاهر والأشكال" ، وهو دراسة لسانية نصية لبعض مظاهر الاتساق ، إذ يعد من المباحث المهمة التي يبني عليها النص ، حاولت إظهار وشرح كل ما له علاقة باتساق النص لما لبعض الأدوات من أهمية في ترابط أجزاء الكلام و تماسك النصوص ، كون الاتساق معيارا أساسيا تكتمل به نصية النصوص.

ويهدفُ البحثُ إلى الكشف عن وسائل هذا التماسك النصّي، وإبراز دورها للوصول إلى القواعد النصّية التي يستند عليها التماسك ، في إطار منهجية علمية حديثة وفقا لمعطيات الدراسة النصّية وآلياتها .

:Abstract

This research comes in line with the development of the contemporary linguistic lesson, which is called Textual linguistics (Linguistique Textuelle), which is characterized by "consistency of appearances and forms", a textual study of certain aspects of consistency. On which the text is based, I tried to show and explain all that has to do with the consistency of the text. As for some of the tools of importance in the interconnection of parts of speech and the consistency of texts, consistency is a basic criterion to be complemented by textual texts. The research aims to reveal the means of this textual cohesion, and to highlight its role to reach the textual bases on which coherence is based, in the framework of a modern scientific methodology according to the data of the textual study and its mechanisms.

الكلمات المفتاحية : الاتساق – النص – اللسانية النصّية - التماس

مقدمة :

بعد التطور الذي شهدته اللسانيات توسعت الدراسات اللغوية ،
ووجب على الدارسين الانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة أشمل وأعم تتمثل
في دراسة النصوص بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل ، فتخطى بذلك حدود
الجملة إلى محيط النص باعتبارها وحدة لغوية كبرى ، وذلك عن طريق تقديم
آليات نصية قادرة على إبراز التماسك النصي .

ويعد الاتساق من المباحث المهمة التي يبني عليها النص ، فكثير من
اللغويين انصب اهتمامهم على هذا الجانب لما له من أهمية في الدراسات
اللسانية ، كالبحث في الأدوات التي تساعد في بناء النص ، أو في اتساقه .

(1) تعريف الاتساق

ورد في معجم لسان العرب ⁽²⁾ " الوسوق ما دخل فيه الليل وما
ضمّ، وقد وسق الليل وأتسق وكل ما انظمّ فقد اتّسق، والطريق يأتسق ويتسق
أي ينظم)....(واتسق القمر استوى، وفي التنزيل (فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ
وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) ⁽³⁾ .

وفي المعجم الوسيط: "وسق الحب: جعله وسقا وسقا. واتسق
الشيء: اجتمع وانظم،

وانتظم القمر: استوى وامتلاً. واستوسق الشيء: اجتمع وانظم. يقال :
استوسقت الإبل.

والأمر: انتظم. ويقال استوسق له الأمر: أمكنه" (4).

من خلال ما ورد في المعاجم اللغوية لمعنى الاتساق، ورغم تعدد
التعريفات إلا أن الاتساق لا يخرج عن معنى واحد وهو الجمع وانضمام الأجزاء
بعضها ببعض.

أما اصطلاحاً فيعرف الاتساق بأنه ذاك التماسك الشديد بين الأجزاء
المشكلة لنصّ ما ، " وهذا التماسك يعتمد على وسائل لغويّة تصل بين
العناصر المشكلة للنص" (5) ، وهذه الوسائل تحقق النصيّة ، بحيث تساهم في
وحدة النص الشاملة (6) ، وتجعل منه نصّاً ، ويشمل الاتّساق كثيراً من المظاهر
كالإحالات والحذف والاستبدال والترابط والاتّساق المعجمي.

والاتساق في علم اللغة الحديث يعني التلاحم بين أجزاء النص
الواحد، بحيث توجد علاقة بين كل مكون من مكونات النص وبقية أجزائه،
فيصبح نسيجاً واحداً، تتحقق فيه علاقات القصد والخلفية المعرفية بالمبدع
والمتلقي (7) ، إذ تخضع الجمل في النص لبناء محكم الترابط حيث تربط كل
جملة بما يلحقها بواسطة أدوات ووسائل لغوية ، ويعرف هذا الترابط المنظم
بين الجمل بالاتساق وهو الذي يضمن تماسك النص وتمييزه عن اللانص ، وقد
أسهمت في عملية الاتساق مجموعة من الوسائل والأدوات النحوية

والدلالية، إذ تعددت تسميات هذه الوسائل بمسميات كثيرة، فمنها ما يجعلها آلية ومنها ما يجعلها مظاهر، وفضلنا إطلاق مصطلح الوسائل لأنه الأعم والأشمل. وقد تعددت آراء العلماء حول هذه الوسائل أيها يحقق التماسك والترابط، لكن رغم الاختلاف في حصر هذه الوسائل إلا أن جل النصانيين يحددون بعض الوسائل التي يشترك فيها الجميع، ولعل أهم من أدلى بدلوه في هذا المجال كل من هاليداي ورقية حسن و أدرجا ذلك في مؤلفهما الاتساق في الإنكليزية "Cohesion in English" ولا يتحقق التماسك والتعلق عندهما إلا بوجود خمسة وسائل لتكون كلا متلاحما وهي :

1- الإحالة Reference

2- الاستبدال Substitution

3- الحذف Ellipsis

4- الترابط Conjunction

5- الاتساق المعجمي Lexical Cohesion

غير أن هاليداي في مؤلفه اللاحق⁽⁸⁾ اقتصر على أربعة وسائل فقط، وأدرج الإبدال تحت الحذف.

وهناك من أدرج ست وسائل وهو "دافيد كريستال"⁽⁹⁾ وهي :

1-العطف

2-المرجعية بأنواعها القبلية والبعدية

3-الاستبدال

4-الحذف

5-التكرار

6-أدوات معجمية

مما سبق يتضح لنا اختلاف النصانيين في تقسيم الوسائل ، ورغم هذا الاختلاف ، إلا أننا اعتمدنا على الوسائل الأكثر شيوعا واستعمالا ، وأكثرها تحقيقا لهذا التماسك النصي ، والاتساق لا يتحقق بوجود عنصر واحد من عناصره ، وإنما بورود العنصر في سياق العناصر المتعلقة هو الذي يبرئ الاتساق ، ويعطي للمقطع صفة النص ، إن الاتساق يعتبر شرطا ضروريا وكافيا للتعرف إلى ما هو نص وعلى ما ليس نصا ، وتشكل كل متتالية أن الجمل - كما يذهب إلى ذلك كل من هاليداي ورقية حسن - نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات ، أو على الأصح بين عناصر هذه الجمل علاقات⁽¹⁰⁾ ، وهي على النحو التالي :

أولاً: الإحالة :

أ- مفهوم الإحالة (Reference) :

مما لا شك فيه أن الإحالة (Reference) مصطلح قديم عرف عند العرب القدامى، إذ هي تعني " تارة العلمية التي بمقتضاها تحليل اللفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم ، أي ما كان يسميه القدامى " الخارج " وهي تارة أخرى تعني إحالة اللفظة على لفظة متقدمة عليها" ⁽¹¹⁾.

بيد أن هذا المفهوم تم استخدامه وتوسع فيه في علم اللغة النصي ، وتعتبر الإحالة أهم عنصر يحقق الترابط في النص ، وهي من أدوات الاتساق النصي (cohesion) حسب ما ذهب إليه كل من هاليدي ورقية حسن ، إذ الإحالة عندهما توجد في كل لغة طبيعية " تتوفر على عناصر تمتلك خاصية الإحالة وتشكلها الضمائر وأدوات الإشارة وأدوات المقارنة " ⁽¹²⁾.

والإحالة عبارة عن علاقات تربط العناصر اللغوية بعضها ببعض، وتعمل على تماسكها، وقد اعتبرها كل هاليدي ورقية حسن أولى الوسائل التي تحقق هذا الترابط ، إذ هي الوسيلة الأكثر شيوعاً داخل النصّ، وهي - كما يرى المؤلفان - خاصيّة تتميز بها وتمتلكها جميع اللغات ، وما أشار إليه المؤلفان مختص بالإنجليزية لكنه ينطبق على اللغة العربية إلى حد كبير ، إذ أسهمت الإحالة في تعليق الكلام بعضه ببعض، والربط بين عناصره .

عرّف "روبرت دي بوجراند" الإحالة بقوله: "بأنها" العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائي في نص ما ، إذ تشير إلى شيء ينتمي إليه نفس عالم النص أمكن أن يقال عن هذه العبارات إنها ذات إحالة مشتركة⁽¹³⁾.

فتوجد علاقات معنوية من خلال عناصرها المختلفة، بصورة مباشرة وعن طريق عنصري الإحالة (المحيل والمحال إليه) دون الحاجة إلى تأويل أحدهما؛ قولك: "هذا هو الرجل الذي كلمته" فالهاء في (كلمته) تحيل إلى (الرجل) المذكور سابقا ، والهاء هنا عوضته ، فالمحيل والمحال إليه في هذا المثال بارزان لا يحتاجان إلى تأويل، ومن هنا يتضح دورها في الربط بين الجمل من خلال العلاقة بين العنصر المحيل وما يحيل إليه، كما يراعى في الإحالة القيد الدلالي وهو تطابق الخواص الدلالية بين هذين العنصرين.

ب- أقسام الإحالة :

تنقسم الإحالة على قسمين :

1-إحالة داخلية⁽¹⁴⁾ ويطلق عليها أيضا الإحالة النصّية (Endophora) ،

وتنقسم أيضا على قسمين :

1-1- إحالة على سابق (Anaphora) :والقصد منها أن الكلام يحيل على ما مرّ

ذكره من قبل ، قد يكون جملة سابقة، و قد يكون في جملة أسبق منها.

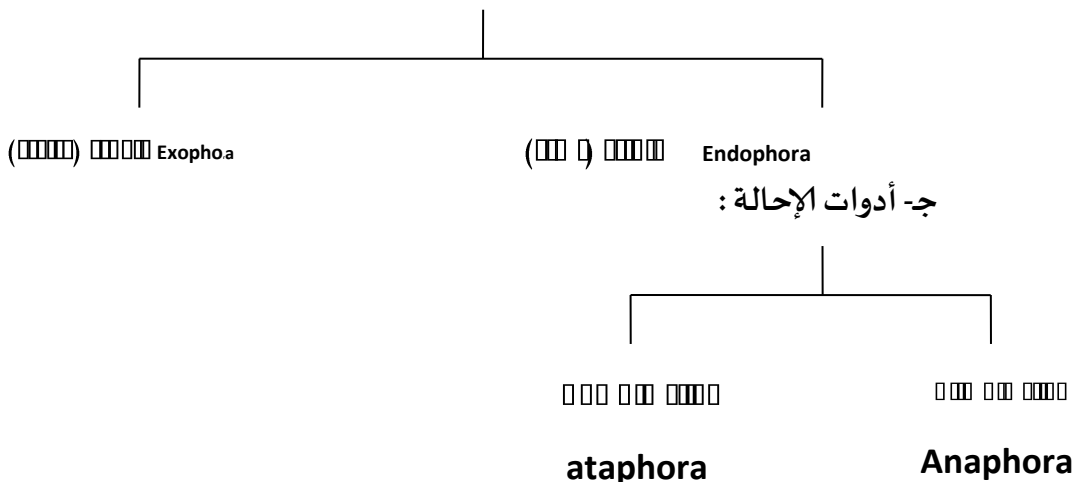
2-1- إحالة على لاحق (Cataphora) والقصد منه أنَّ المحيل يشير إلى شيء لاحق فيكون تأويله من كلام سيأتي فيما بعد.

2 - الإحالة الخارجيّة⁽¹⁵⁾: ويطلق عليها أيضا الإحالة المقاميّة (Exophora) وفيها يؤدي المقام وظيفة اتّساق النصّ، وأسهمت في جعل النصّ منفتحاً على مستويات التأويل والقراءات المتعددة اعتماداً على الخلفية المعرفية للقارئ، إذ يخزّن هذا الأخير المعلومات ويستخرجها في المواضيع التي يحتاجها للتفاعل مع النصّ وتفسيره.

وقد وضع كل من هاليدي ورقية حسن مخططاً لتقسيم الإحالة وهو على النحو التالي⁽¹⁶⁾:

□□□□

Reference



المقصود بالأدوات هي تلك الألفاظ التي تعيننا لتحديد المحال إليه داخل السياق اللغوي وهذه الأدوات موجودة في جميع اللغات البشرية ، فالتأمل والدارس لكتاب " Cohesion in English " لمؤلفيه هاليدي ورقية حسن يجد بأنهما قسما الإحالة على ثلاثة أقسام: إحالة شخصية، وتمثلها الضمائر، وإحالة إشارية، تمثلها أسماء الإشارة، وإحالة مقارنة ، وهناك من أضاف نوعا آخر يتمثل في الإحالة بأداة التعريف "ال" ، إضافة إلى الأسماء الموصولة⁽¹⁷⁾.

1. الإحالة الشخصية (Personal Reference):

الإحالة بالضمائر من أكثر الإحالات استعمالا، وهذا دليل على السمة الوظيفية التي تؤديها الضمائر في ربط الكلام ببعضه ببعض ، و الضمائر في العربية من حيث إحالتها إلى ثلاثة أقسام: ضمير المتكلم مثل "أنا"، وضمير المخاطب مثل "أنت"، ويشترك هذان النوعان في كون إحالتهما إحالة خارجية دائما، فالنصائون لا يولون اهتماما كبيرا لباقي الضمائر لأنها تحيل إلى خارج النص، ولعل مسوغ ذلك كونهما حاضرين في المقام التخاطبي. أما النوع الثالث فهو ضمير الغائب، وهذا النوع من الضمائر هو الذي يهمننا في هذا البحث، لأهميته في تحقيق التماسك في النص؛ لأنه يربط الكلام ببعضه ببعض⁽¹⁸⁾

ويسمى هذا النوع من الضمائر بالضمائر الوجودية، و النوع الثاني ضمائر الملكية وهي لي، لك، لهم، لنا...

من خلال هذه الضمائر نستطيع أن نفرّق بين أدوار الكلام التي تضمّ جميع ضمائر المتكلم والمخاطب، وهي بطبيعة الحال إحالة على خارج النصّ (Exophoric)، ففي الكلام المتداول بين اثنين أو جماعة تكون هذه الضمائر قد أحالت إلى شيء خارج النصّ، فالمتكلمون عادة في أحاديثهم يستعملون الضمائر في الإشارة إلى أنفسهم أو إلى الشخص المخاطب من دون ذكر أسمائهم، وبذا تكون إحالة هذه الضمائر مقامية إذا ما سُجّلت هذه الحوارات. ولا يمكن أن تكون إحالة على سابق في النصّ إلا في اللغة المكتوبة مثل القصة أو الرواية لأنّها تحتوي في مكان ما منها على أسماء أو تعيينات تمكّن القارئ من إيجاد العلاقة بين الضمائر الموجودة في حوارات القصة⁽¹⁹⁾.

لذا فالإحالة لا تقتصر على الجانب الشكليّ للربط بين الجمل، بل تتعداه لتحقيق وظيفتها الدلالية، إذ إنّ الضمائر تقوم على ربط الدلالات المتناثرة للجمل، ومن الباحثين من جعل من الإحالة رابطاً دلاليّاً يربط العناصر المتباعدة للنصّ⁽²⁰⁾.

2. الإحالة الإشارية (Demonstrative) :

وتتمثل في أسماء الإشارة (هذا وهذه وهذان وهاتان وهؤلاء وذاك وذلك وتلك وظروف الزمان (الآن وأمس وهنا وهناك ...) وتقوم هذه الأدوات بالربط النصي، كما تمتاز هذه الأدوات بإمكانية الإحالة على جملة كاملة أو فقرة كاملة، فتمكن هذه الأدوات من ربط أجزاء النصّ وتجنبنا تكرار المفردات أو الجمل داخل النصّ.

3. الإحالة بالمقارنة (Comparative Reference):

تتضمن عملية المقارنة شيئين يشتركان في سمة مشتركة بينهما. وهي على نوعين: مقارنة عامة، منها ما يدل على التطابق ك(مطابق ، مساو ، نفسه ، وعينه) ومنها ما يدل على التشابه ك(مشابه ، يشبه إلى حد كبير ، يشبه إلى حدّ ما) ومنها ما يدل على الاختلاف (مختلف إلى حدّ ما ، ومختلف إلى حدّ كبير ، مخالف) ، ومقارنة خاصة ، منها ما يدل على الكمّ ويقوم اسم التفضيل في هذه الإحالة بوظيفة المقارنة الخاصة ك(الأكثر، الأقل، الأفضل)، ومنها ما يدل على الكيف ك(أجمل من ، جميل مثل)⁽²¹⁾.

ثانيا- الحذف (Ellipsis):

يحدث التفصيل الملل والحشو الزائد ، وقد وُجدت في اللغة الإنسانية تقنية للإيجاز وهي الحذف⁽²²⁾، وهو اعتماد المتكلم الحذف لعنصر أو أكثر من اختصاراً

ويندرج الحذف ضمن عناصر السبك النحوي ، وترد أهميته بعد الإحالة والاستبدال وإن كان أكثر وقوعاً في اللغة ، حيث يميل المتكلم لحذف بعض الكلام اعتماداً على فهم المخاطب و السياق .

واشترط النحاة للحذف وجود ما يثبت الحذف ، وأهمية " وجود الدليل المقالي و المقامي في الحذف تكمن في أكثر من جملة ويحقق التماسك النصي بين جملة أو مجموعة من الجمل " (23) .

والحذف عند هاليداي ورقية حسن في ثلاثة أشياء وهو على النحو التالي (24) :

الحذف الاسمي (Nominal Ellipsis):

هذا النوع من الحذف يقع داخل المكون الاسمي ، أي حذف اسم داخل المركب الاسمي ، كحذف المبتدأ و حذف الخبر و حذف الفاعل والمضاف .

الحذف الفعلي (Verbal Ellipsis) :

ويكون المحذوف داخل المركب الفعلي ، أي إنّه يقع في الأفعال خاصّة دون الأسماء (25) .

حذف العبارة (Clausal Ellipsis):

هذا النوع من الحذف يختلف عن النوعين السابقين، فالحذف هنا لا يقتصر على المجموعة الاسميّة أو الفعلية، وإنما يشمل العبارة بما تحويه من أسماء أو أفعال⁽²⁶⁾.

ويشترط في الحذف أيضا إحاطة متلقي النص بمكونات السياق اللغوي والاجتماعي المصاحب له ، ليتمكن من تقدير العنصر المحذوف تقديرا صائبا ، كما يشترط أن يكون العنصر المحذوف من نفس مادة المذكور قبلا ، ومن ثم عده بعض النصيين متداخلا مع الإحالة القبلية إلا أن ذلك يكون بعنصر صفري⁽²⁷⁾ . كذلك اشترطوا أيضا وجود دليل على المحذوف

ثالثا- الاستبدال (Substitution):

إن المتتبع لمفهوم الاستبدال في الدرس النحوي ، يجد بأن جل مفاهيمه تدور حول علاقة الكلمات في الجملة على المستوى النحوي المعجمي ، فغالبا ما يتقاطع مع ما يطلق عليه بالمترادف ، والقصد منه دلالة اللفظ على أكثر من معنى واحد⁽²⁸⁾ ، وقد أطلق عليه قديما الإبدال والقصد منه إقامة حرف مكان حرف آخر في كلمة واحدة والمعنى واحد، والذي يكون في الغالب الأعم إما ضرورة وإما صنعة واستحسانا.

و الاستبدال عند اللسانيين الغربيين صورة من صور التماسك النصي ، وهو كما يعرفه النصانيون : "عملية تتم داخل النص أو الخطاب، من خلال استبدال عنصر في النص بعنصر آخر في المستوى النحوي المعجمي

لنص ، فهو كما يرى هاليداي ورقية حسن تعويض عنصر في النصّ بعنصر آخر" (29) .

كما أنه "إحلال كلمة محل كلمة أخرى ، وهذه الكلمة لا تكون ضميرا شخصيا" (30) .

والفرق الكائن بين الاستبدال والإحالة " يرجع إلى المستوى الذي تتم فيه كل ظاهرة فالاستبدال علاقة مجالها الصيغ اللغوية من قبيل المفردات والمركبات، وهويتم في المستوى المعجمي النحوي ، أما الإحالة فهي علاقة معنوية وهي تتم في المستوى الدلالي" (31) .

تتضمن عملية الاستبدال " استمرارية للعنصر المستبدل فلا يفهم المبدل من دون العودة إلى ما هو متعلق به قبلا في النص ، ومن هنا فالاستبدال يعمل على ترابط النص نتيجة لاحتياج اللاحق للسابق" (32)

وينقسم الاستبدال على ثلاثة أقسام وهي:

1- الاستبدال الاسمي (Nominal Substitution) :

ويكون باستبدال اسم باسم آخر ، أي استخدام عناصر لغوية اسمية غير التي استخدمت سابقا .

2- الاستبدال الفعليّ: (Verbal Substitution) :

يتم هذا النوع من الاستبدال باستبدال فعل بفعل آخر

3. استبدال العبارة (Clausal Substitution):

يقع هذا النوع من الاستبدال عندما نستبدل عبارة في النص بكلمة واحدة، تشير إلى العبارة المستبدلة، وتسهم في خلق الاتساق داخل النص.

رابعا: الترابط (Conjunction):

أجمع النصابيون على أن النص مجموعة من الجمل المتتالية المتعاقبة أفقيا ، وعليه يجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تشكل نصا متماسكا ، وهذا عن طريق روابط تعتبر من وسائل الاتساق النحوية، وهي الوسيلة الرابعة بين وسائل الاتساق.

و الروابط مجموعة من العلاقات اللغوية التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند نظمها في بيان المقصود منها ، وعوامل الترابط السطحي للنص ، علامات العطف والوصل والفصل ، وتقوم أدوات الربط بين الجمل النصية على ربط أجزاء الجملة على أن تكتمل الدلالة فيها ، بربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها ، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر مثل الواو في العربية أو ربط خطي يقوم على الجمع كذلك ، ولكنه يدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى مثل (الفاء) و (ثم) و (أو) وغيرها في العربية ، إذ تربط وتعبّر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين، و" تجمع

في قسم الأدوات المنطقية (Particules Logiques) لأنها علاقات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل ، و بها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص " (33) .

يعرف هاليداي ورقية حسن الوصل بأنه " تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم " (34) ، فالنص كما يقول النصانيون هو عبارة عن متتالية جمالية متعاقبة خطيا ولكي تشكل كلا متلاحما يجب أن تتوافر على جملة من العناصر لتحقق الترابط وتشكل النص .

وقد قسم هاليداي ورقية حسن الوصل على أربعة أقسام حسب وظيفته

:

1- الربط الإضافي (Additive): وهو الربط الذي يتم عن طريق أحرف العطف " الواو " و " أو " ، إضافة إلى أدوات أخرى تملك خاصية التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل كـ (مثلما ، مثل ، نحو) أو ما له علاقة بالشروحات كـ (أعني ، أو بعبارة أخرى) .

2- الربط العكسي (Adversative): يتم عن طريق مجموعة من الأدوات التي تجعل من اللاحق في النص على عكس ما كان يتوقعه المتلقي، وأهم هذه الأدوات (لكن وما في معناها ، بيد أن غير أن ، أما) (مع ذلك)، غير أن هاليداي ورقية حسن يرون بأن الأخيرة هي التي تعبر عن الترابط العكسي أكثر من غيرها

(35) ، والتعبيرات (خلاف ذلك ، وعلى العكس ، وفي المقابل) إلى غير ذلك من التعبيرات التي تحمل المعنى نفسه

3- الربط السببي (Casual) : وهو الربط الذي عن طريقه يمكن إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، وأدواته كثيرة منها : هكذا، و إذن، و لذلك، وبالتالي، لهذا السبب، إذا، من أجل هذا، لكي، لأن، سبب ذلك، وغيرها، كل هذه الأدوات هي علاقات منطقية يكون اللاحق تبعاً للسابق، بمعنى آخر العلاقة بين السبب والنتيجة، وهناك من أطلق على هذا القسم بـ (الاتباع) وآخرين بـ (التفريع) Subordination (36).

خلاصة القول هو أن أدوات الربط بجميع أنواعها تجعل من النص متوالية خطية رغم اختلاف معانيها، فتارة تكون لإضافة معلومة إلى معلومات سابقة ضمن سلسلة من الجمل، وتارة أخرى تأتي بمعلومات معاكسة لما هو متوقع، أحيانا آخر تكون سببا أو علّة، بإضافة معلومة هي نتيجة تترتب على معلومات سابقة لها. أو قد تكون العلاقة ترابطية زمنية تعمل على تسلسل الزمن داخل النص.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الترابط بوصفه علاقة اتّساقية قد حقّق الغاية منه عن طريق " تقوية الأسباب بين الجمل، وجعل متواليات الجمل متماسكة " (37)، وليس عن طريق الإحالة أو الإشارة إلى ما سبق أو ما لحق من

مفردات أو عبارات داخل النصّ، وهذا جوهر الاختلاف بينه وبين وسائل الاتّساق الأخرى.

خامساً- الاتّساق المعجميّ (Lexical Cohesion):

لا نعني بالمعجم حين نذكره في دراساتنا اللغوية ذلك الكتاب المحصور بين دفتين يذكر الكلمات ومعانيها أو أي معجم مكتوب ، ولكننا نعني به المعجم مجمل الأداءات اللغوية التي استطاع ابن اللغة (ومنهم الشعراء) أن يخزنها في ذاكرته اللغوية ويستعملها عند الحاجة إلى استعمالها وتوظيفها وفقا لقواعد النظام اللغوي العام أو الكفاية أو القدرة (Competence)⁽³⁸⁾

و الاتساق المعجمي مظهر من مظاهر اتساق النص يربط بين جملة بدون وصل أو إحالة، وإنما عبر العلاقات المعجمية القائمة بين مفردات النص ووحدات من جملة، ويحققها التكرار والتضام⁽³⁹⁾، وقد حاول كل من هاليداي ورقية حسن أن يقدمّا هذه الوسيلة على أنّها لا تتحقق إلا من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر ... يقوم على مستوى المعجم⁽⁴⁰⁾

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الاتساق المعجمي يتم بواسطة المفردات المعجمية التي تكون في النص إما " متكررة أو متضمنة " ، وهكذا يختلف هذا النوع من الاتساق عما سبق من وسائل الاتساق كالربط بأدواته الشكلية- الدلالية، أو الحذف والاستبدال اللذين ينشآن في إطار نحوي-معجمي، أو الإحالة

التي تتم على مستوى الدلالة⁽⁴¹⁾، ويتأسس عن طريق علاقات تتولد بين عناصر معجمية تجسدها ظاهرتان هما: التكرار والتضام.

1: التكرار (Reccurence)⁽⁴²⁾:

يعتبر التكرار أهم الظواهر التي ميزت اللغات الإنسانية باختلافها، خاصة اللغة العربية، والحديث عن التكرار يقودنا إلزاما العودة إلى ما قال به كل من هاليداي ورقية حسن اللذان جعلاه منه وسيلة من وسائل اتساق النص، وهو شكل من أشكال التماسك المعجمي التي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له، أو شبه مرادف⁽⁴³⁾ أو التضمّن (superordinate)، أو باستعمال الكلمة العامة عن طريق إحالتها إلى المفردة المعجمية السابقة، وعادة ما تكون المفردة المكررة مصحوبة بـ(أل)⁽⁴⁴⁾.

من خلال هذا التعريف نجد بأن النصانيين قد أفردوا للتكرار مساحة كبيرة، بينوا فيها سُبُل إفادة التكرار تماسك النص، إذ تعددت أنواعه لتعدد صوره وأشكاله، فمنهم من نظر إلى التكرار بصورته اللفظية، ما بين تكرار كلي أو جزئي، أو تكرار صيغة أو وزن، والبعض الآخر نظر إلى التكرار بصورته المعنوية، ومنه التكرار بالمرادف وبالمشترك، والتضاد، والتضمين، وبالحقل، والمعاني العامة، وعليه فقد جعلوا هذا التكرار في أربع درجات⁽⁴⁵⁾، هي:

1- إعادة العنصر المعجمي (Repetition of Lexical item):

وينقسم على قسمين :

الأول التكرار التام أو المحض (Full Reccurence):

وهو تكرار الكلمة كما هي دون تغيير، بمعنى آخر تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد.

الثاني : التكرار الجزئي (Partail Reccurence):

وهو ما يكون بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي مع اختلاف العنصر الإشاري المتصل به، نحو تكرار الفعل لعدة أحوال مختلفة ، أي تكرار الجذر اللغوي في عدد من الصيغ داخل النص الواحد.

2- الترادف أو شبه الترادف (Synonym or Near Synonym):

ويعني تكرار المعنى دون اللفظ ، وقد يتكرر أكثر من مرة في النص ، ولأكثر من كلمة ، ومن ثم تتسع المساحة التي يحدث فيها سبكا.

3- الكلمة الشاملة ⁽⁴⁶⁾ (Superordinate) :

وهي عبارة عن كلمة يندرج تحتها " عدد من الكلمات المتكافئة ، فكل كلمة (الفن) على سبيل المثال يقع تحتها كلمات متكافئة كالموسيقى ، والشعر ، والنحت ، والغناء ، وكذلك كلمة (الإنسان) فإنه يندرج تحتها كل من الرجل ، المرأة ، الولد ، والطفل ، والبنت ، وهكذا" ⁽⁴⁷⁾.

4- ألفاظ العموم (المجردة) (General Words) :

ويعنون بها تلك الكلمات التي فيها من العموم والشمول ما يتسع بكثير عن الشمول الموجود في الاسم الشامل ، مثل الفكرة ، القضية ، العمل ، الصنيع وغيرها⁽⁴⁸⁾

ولا يمكن لنا أن ننكر دور التكرار في تماسك النص ، فلو عدنا إليه عند القدماء لوجدناه ملتصق بالكلام وهو سنة من سنن العرب وأسلوب من أساليبهم ، ويؤدي في كثير من الأحيان دورا إيجابيا ، لقدرفته على تأدية أغراض جمالية وفنية ترفع وتزيد من قيمة النص وهذا هو الجانب الإيجابي فيه ، غير أن هناك جانبا سلبيا في التكرار يقبح الكلام ، إضافة إلى أن " إعادة اللفظ يعطي منتج النص القدرة على خلق صورة لغوية جديدة ، لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر "⁽⁴⁹⁾ ، ومن " شأن إعادة اللفظ من الناحية النفسية أن تصرف الانتباه عن عناصرها ، فإن العناصر المكررة ينبغي أن تنطبع في الذاكرة ، ومن ثم ينبغي للعملية الإجرائية أن تكون سهلة ، إذ إن نقطة الاتصال في نموذج العالم ذي الاستمرار للنص يجب أن تكون واضحة ... كي يكون للتكرار مبررات أعمق "⁽⁵⁰⁾ ، قصد الوصول إلى أي غرض من أغراض التكرار ، فاستعمال هذه الخاصية سواء أكانت عن قصد أو غير قصد هي تعبير عن خوالج النفس ومكنوناتها ، فلا يوجد خاصية أفضل من التكرار للوصول إلى المقصود ، ولعل أهم أغراضه التأكيد ، إذ لا يخفى على أحد أن للتكرار دورا مهما في تأكيد المعنى وتقويته ، فالمتكلم لا يكرر كلامه عبثا بل

قصد إقناع السامع والتأثير فيه ، وجلب انتباهه ، وقد أجاز النحويون وخاصة الفراء التكرار و يرى بأن تكرار اللفظ أو المعنى إذا كان للتوكيد جائز⁽⁵¹⁾ .

والجدير بالذكر أن للتكرار شروطا حددها العلماء القدماء والمحدثون ، ومنها: أن يكون للمكرر نسبة ورود عالية في النص، وأن يساعد رصده علي فك شفرة النص وإدراك دوره الدلالي فيه، وأن يقع التكرار من أكثر من كاتب، أو في النص الواحد.

ويشترط صلاح فضل شرطا أساسيا " حتى يقوم التكرار بهذه الوظيفة ، وهو أن يكون لهذا الملمح-المكرر- نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره ... وأن يساعدنا رصده -أي التكرار - على فك شفرة النص وإدراك كيفية أدائه لدلالته"⁽⁵²⁾ .

ثانيا : المصاحبة المعجمية (Collocation):

ويراد بها العلاقات القائمة بين الألفاظ في اللغة مثل علاقة التضاد ، وعلاقة التقابل ، وعلاقة الجزء بالكل ، وعلاقة الجزء بالجزء ، مما يشيع في اللغة عامة ، بحيث يمكن توقع ورود كلمة محددة في النص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه ، وتتميز بعدم وجود مرجعية سابقة أو لاحقة كما هو الشأن بالنسبة للعناصر المذكورة سابقا ، وهذه العلاقات هي على النحو التالي :

1- التضاد : هو "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك، فالعلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي علاقة التعارض؛ ككلمات مثل (ولد، بنت) اللذين قد يردا في نص لا يعود فيه

عليهما عنصر إحالي موحد، ولكنهما يسهمان في النصية⁽⁵³⁾ ، " ويكون للقارئ دورا في وضع هذه الأشكال في سياق ترابطي معتمدا على حدسه اللغوي "⁽⁵⁴⁾ .

2- علاقة الجزء بالكل: وتكمن في أمور لها علاقة ببعضها كالسقف ، الجدران ، الحجرة ، فكلها لها علاقة بالمنزل .

3- علاقة الجزء بالجزء ك(الأنف ، العين ، الذقن) .

4- الصنف العام مثل (الطواف ، الكعبة ، السعي) وعلاقتها بالحج فهو الصنف الذي يجمعها⁽⁵⁵⁾ .

والملاحظ في هذه الوسائل أنها متداخلة تداخلا يصعب فكّه أو فصله ، ومعظم هذه الوسائل تتشكل عن طريق الإحالة التي تندرج تحتها الوسائل الأخرى ، كما عرجنا على جميع الوسائل بالشرح والتفصيل وهذه الوسائل هي التي تحقق التماسك النصي وتربط بين جمل النص ، وتميز النص عن اللانص ، وتسهم في جعل وحدة النص وحدة متسقة مترابطة.

خاتمة :

إن الدارس لهذا العلم يجد نفسه أمام تعدد المصطلحات والترجمات لمفاهيم متعددة ، فهناك مصطلحات تحيط بهذا العلم من الخارج (النص والخطاب) الذي اختلف في تعريفهما كثيرا ، كما نجد مفاهيم أخرى داخلية

كالسبك والحبك والالتحام والتماسك والربط والمصاحبة والتضام وغيرها ، إضافة إلى عدم استقلالية المباحث بداخلها، فالأدوات التي تتناول تحت مبحث الإحالة تدرس تحت مبحث الاستبدال مثلا فأدوات مثل (هذا. هكذا. ذلك) يتم دارستها على أنها أدوات إحالية، وكذلك لا نستطيع أن ننكر أن هذه الأدوات تندرج تحت مبحث الاستبدال. وغير ذلك كثير.

من خلال هذه الدراسة ، يمكننا أن نؤكد على أن أصول التماسك النصي ليست وليدة العصر الحديث، بل إن جذورها تمتد منذ الدراسات العربية القديمة ، لكن الجديد هو تقديمها في هذه الحلة، ذلك أن العرب استخدموا مثل هذه المصطلحات بكثرة لكن بمسميات مغايرة ، ومنها ما كان بنفس الاسم ، غير أنهم افتقروا للمنهج العلمي الذي يؤسس لمثل هذه الدراسات ، وكانت لديهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي، فكانت الدراسات مبنوثة في أمات الكتب العربية ، ولم تفرد لها المؤلفات الخاصة ، شأنها شأن باقي العلوم التي كان للعرب السبق فيها ، ثم كان لمن جاء بعدهم من اللسانيين الغربيين أن يستثمروا هذه النظريات ويطورها ؛ فكانت دراساتهم تكرر لما قال به العرب في أغلب الأحيان.

الهوامش :

¹ - ورد هذا المصطلح في تراثنا العربي باسم السبك خاصة عند الجاحظ في تعريفه للشعر ، كما نجد أن المصطلحات الأجنبية (Cohesion, Coherence , Cohesive) تستخدم

بمعنى التماسك ، وقد أثرنا استخدام التماسك مرادفاً للاتساق لوروده عند كثير من اللسانيين ، ينظر :محمد خطابي ، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب"،، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص:5

441 ص: / 6، ج 1، 1997، ط 1 - لبنان، بيروت، صادر، دار العرب، لسان منظور ، - ابن² (ق وس) مادة

³ - سورة الانشقاق، من الآية 16 إلى الآية 18

⁴ - إبراهيم أنيس، و آخرون، المعجم الوسيط ، ط 2 - ، ج 2، ص:1032

5- ينظر : محمد خطابي، لسانيات النص، ص:13.

6- المرجع نفسه ، ص :13.

7- Halliday & Hassan - Cohesion in English. Longman, London. 1976, P: 10

8- See M.A.K.Halliday , An Introduction To Functional Grammar , (London : Edward Arnold Publishers ,Ltd, 1985

9 - ينظر : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،دار قباء للطباعة والنشر التوزيع، القاهرة، ج1، ط1، 2000، الهامش 2 ، ص:118.

10 - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص:12-13.

¹¹ - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب ، المؤسسة العربية للتوزيع ، بيروت 2001 ، ط1، ج1، ص:125 .

12- محمد خطابي، المرجع السابق ، ص:17.

13- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ص:320

14- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص:117.

¹⁵ - سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب ، القاهرة ط 2005، 1، ص: 103 وما بعدها .

¹⁶ -See Halliday, and Hassan; Cohesion in English. P.p. 33

- الأسماء الموصولة لا تملك دلالة مستقلة ، فهي خالية من المعنى ، بل تعود إلى عنصر 17 مذكور في أجزاء النص ، ك (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين ...) ومثلها مثل الأدوات السابقة؛ حيث لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها تعويض عما تحيل إليه، عندما تصنع ربطاً دلاليّاً بين ما قبلها وما بعدها، كما أنها تعتبر ذات أشكال فارغة معجمياً تقوم بوظيفة تعويض الأسماء وتكتسب محتوى ما تشير إليه ، سواء أكان المعنى قريباً أم بعيداً .

¹⁸ - منتديات تخاطب ،الإحالة ونوعها للدكتور محمد علي يونس.
www.takhatub.ahlamontada.com

¹⁹ -جبار سويس ،الاتّساق في العربيّة ، ص: 53. ¹⁹

²⁰ - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 1، ص: 164.

²¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 19 .

22 - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 2، ص: 191.

23 - صبحي إبراهيم الفقي ، المرجع نفسه ، ج 2، ص: 208.

24 - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 22.

17-Helliday, and R.Hassan ,cohesion in english, p. 191

18-See: Ibid; p.p.205

27 - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 21-22.

28 - أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص: 122-123 .

²⁹ - نفسه ، ص: 123

30- عزة شبل ، علم لغة النص ، النظرية والتطبيق ، المقامات الزومية للسرقسطي ، مكتبة الآداب مصر ، 1999 ، ص: 113 .

- 31 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب ، ص: 132 .
- 32- محمود سليمان حسين الهواوشة ، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير، إشراف د: فايز محاسنة ، جامعة مؤتة 2008 ص: 101.
- الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 37. 33
- 34- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص: 23.
- ³⁵ -Helliday, and R.Hassan ,cohesion in english. 350.
- ³⁶ - إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد ، مدخل إلى علم لغة النص ؛ تطبيقات لنظرية ديوجراند وولفجانج دريسلر ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999، ص: 107.
- ³⁷ - محمود سليمان حسين الهواوشة ، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف ، ص: 91.
- 38 - يحيى عباينة ، أمانة صالح الزعي ، مجلة جامعة دمشق: المجلد 29، العدد (2+1) ، ص: 530.
- ³⁹ - أطلق عليه النصابيون التضام ، التضاد ، التلازم ، المصاحبة المعجمية .
- ⁴⁰ - عزة شبل أحمد ، علم لغة النص ، النظرية والتطبيق، ص: 105.
- ⁴¹ -جمعان بن عبد الكريم ، إشكالات النص ، دراسة لسانية نصية ، ص: 359 ، نقلا عن وسام نش ، ظواهر الاتساق والانسجام ، ص: 95
- ⁴² - ورد هذا المصطلح عند الغربيين بطرق مختلفة فمنهم من أطلق عليه لفظ **Reiteration** ومنهم من أطلق عليه **La Répétition** ومنهم من فضل مصطلح **La Fréquence**
- 43- محمد خطابي، لسانيات النص ص: 18-24-25، ودي بوجراند ، النص والخطاب ، ص: 300 ، و أحمد عفيفي، نحو النص ص: 106.

- أداة التعريف السابقة الذكر الكثير من النصابين من يجعلها قسما مستقلا ، ذلك 44
أنها تسبق العبارة التي تحيل إلى ما سبق ذكره ، ويطلق عليها أَل العهدية لأن ما اتصلت به
معهود وموجود في ذهن السامع أو المتلقي .

⁴⁵ - يرى بعض اللسانيين أن النوع الثالث والرابع (الكلمة الشاملة ، وألفاظ العموم) لا
علاقة لها بالتماسك المعجمي ، وعليه وجب دراستهما في المستوى الدلالي ، ويأتي التكرار
أيضا عند بعض النصابين على ثلاثة أنواع ، انظر أبو زنيد، عثمان حسين مسلم، نحو
النص) دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)، رسالة
ماجستير غير منشورة، 2004 م، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ص:
116 نقلا عن محمود سليمان حسين الهواوشة أثر عناصر الاتساق في تماسك النص
(دراسة نصية من خلال سورة يوسف)، ص: 93.

46 - يطلق عليها أيضا مصطلح الكلمة العامة.

⁴⁷ - رمزي منير بعلبكي ، معجم المصطلحات اللغوية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة
الأولى 1990 ، ص : 484 نقلا عن عيسى جواد الوادي ، التماسك النصي في الدرس اللغوي
العربي لسانيات النص وتحليل الخطاب ، المؤتمر الدولي الأول المجلد الأول ، دار كنوز
المعرفة ، ص: 364.

48 - رمزي منير بعلبكي ، معجم المصطلحات اللغوية ، ص : 365 .

49- دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، ص: 306

50- دي بوجراند ، المرجع نفسه، ص: 304-305.

51- الفراء ، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتب ، القاهرة مصر
1980 ، ج 1، ص: 177 ، هناك أغراض كثيرة للتكرار تفهم من سياق الكلام .

⁵² - صلاح فضل ، ظواهر أسلوبية ، ص: 210 ، نقلا عن ذكر صبحي إبراهيم الفقي ، علم
اللغة النصي ، ج 2، ص: 22 .

⁵³ - محمود سليمان حسين الهواوشة ، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ، ص: 94.

⁵⁴ - أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص: 113

⁵⁵ - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، الخطابة النبوية نموذجاً ، المجلد التاسع ، العدد الثاني 2006. ص:34.